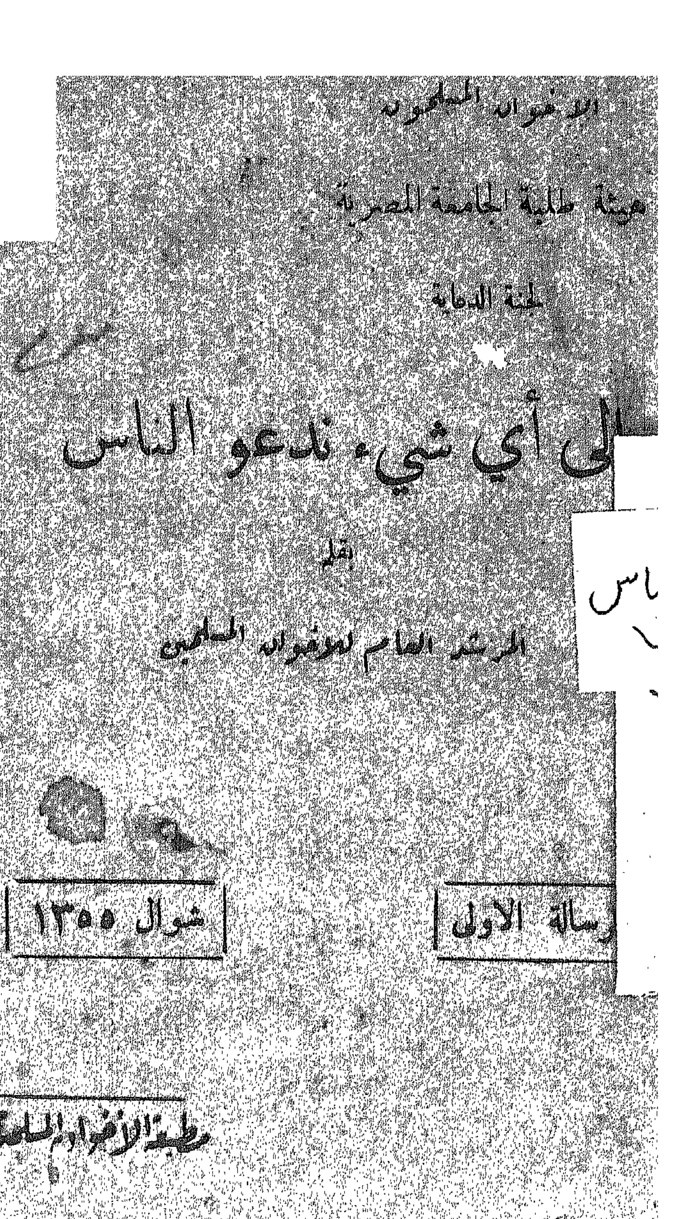


الإخوان المسلمون

هيئة طلبة الجامعة المصرية

لجنة الدعاية

إلى أي شيء ندعو الناس

بقلم

المرشد العام للإخوان المسلمين

الرسالة الأولى

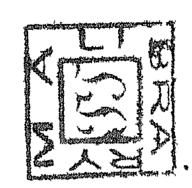
شوال ١٣٥٥

مطبعة الإخوان المسلمين

الاخوان المسلمون

هيئة طلبة الجامعة المصرية

لجنة الدعاية



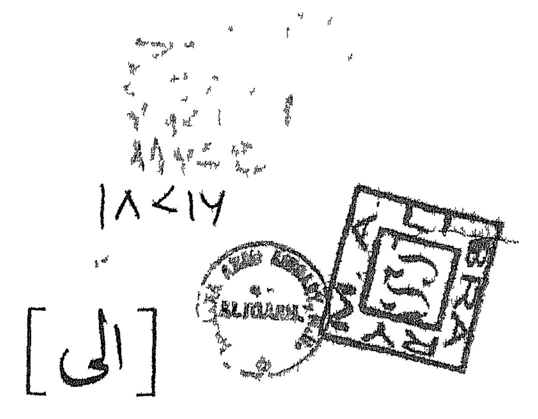
الى أى شيء ندعو الناس

بقلم

المرشد العام للاخوان المسلمين

| الرسالة الاولى |

| شوال ١٣٥٥ |



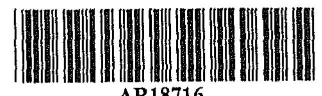
[الى]

الذين يريدون الحقيقة

ويتلمسون السبيل الى الاصلاح

تقدم هذه الكلمات

هيئة الاخوان بالجامعة المصرية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وعلى الله صلى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

« تمهيد »

قد تتحدث الى كثير من الناس فى موضوعات مختلفة فتعتقد أنك قد أوضحت كل الايضاح وأبنت كل الابانة وأنك لم تدع سبيلا الى الكشف عما فى نفسك إلا سلكتها حتى تركت من تحدثهم على المحجة البيضاء ، وجعلت لهم ماتريد بحديثك من الحقائق كفلق الصبح أو كالشمس فى رائعة النهار كما يقولون ، وما أشد دهشتك بعد قليل حين ينكشف لك أن القوم لم يفهموا عنك ، ولم يدركوا قولك

رأيت ذلك مرات ولمسته فى عدة مواقف وأعتقد أن السر فيه لايعدو أحد أمرين ، إما أن المقياس الذى يقيس به كل منا مايقول وما سمع مختلف فيختلف تبعا لذلك الفهم والادراك ، وإما أن يكون القول فى ذاته ملتبسا غامضا وان اعتقد قائله أنه واضح مكشوف

المقياس

وأنا أريد فى هذه الكلمة أن أكشف للناس عن دعوة الاخوان المسلمين وغايتها ومقاصدها وأساليبها ووسائلها فى صراحة ووضوح وفى بيان وجلاء ، وأحب أولا أن أحدد المقياس الذى نقيس به هذا التوضيح ، وسأجتهد فى أن يكون القول سهلا ميسوراً ؛ لايتعذر فهمه

على قارئ يجب أن يستفيد ، وأظن أن أحداً من الأمة الاسلامية جميعا لايخالفني فى أن يكون هـذا المقياس « كتاب الله » نستقى من فيضه ونستمد من بحره ونرجع الى حكمه

(ياقومنا)

ان القرآن الكريم كتاب جامع جمع الله فيه أصول العقائد وأسس المصالح الاجتماعية ، وكليات الشرائع الدنيوية ، فيه أوامر وفيه نواه ، فهل عمل المسلمون بما فى القرآن فاعتقدوا وأيقنوا بما ذكر الله من المعتقدات ، وفهموا ما أوضح لهم من الغايات ؟ وهل طبقوا شرائعه الاجتماعيـة والحيوية على تصرفاتهم فى شئون حياتهم ؟ إن انتهينا من بحثنا الى أنهم كذلك فقد وصلنا معاً الى الغاية ، وإن تكشف البحث عن بعدهم عن طريق القرآن وإهمالهم لتعاليمه وأوامره فاعلم أن مهمتنا أن نعود بأنفسنا وبمن تبعنا الى هذه السبيل

« غاية الحياة فى القرآن »

إن القرآن حـدد غايات الحياة ومقاصد الناس فيها فبين أن قوما همهم من الحياة الأكل والمتعة فقال تبارك وتعالى

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكلُ الأنعامُ والنارُ مثوىً لهم »

وبيّن أن قوما آخرين مهمتهم الزينة والعرض الزائل فقال تبارك وتعالى

« زُيِّن للناس حُبُّ الشّهوات من النساء والبنينَ والقناطير

الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ »

وبيّن أن قوماً آخرين شأنهم فى الحياة إيقاد الفتن وإحياء الشرور والمفاسد أولئك الذين قال الله فيهم

« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ »

تلك مقاصد من مقاصد الناس فى الحياة نزه الله المؤمنين عنها وبرأهم منها وكلفهم مهمة أرقى، وألقى على عاتقهم واجبا أسمى، ذلك الواجب هو (هداية البشر الى الحق، وإرشاد الناس جميعا الى الخير، وإنارة العالم كله بشمس الاسلام) فذلك قوله تبارك وتعالى

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ، وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ »

ومعنى هـذا أن القرآن يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هـذه الوصاية النبيلة ، وإذن فذلك من شأننا لا من شأن الغرب ولمدنية الاسلام لا لمدنية المادة

« وصاية المسلم تضحية لا استفادة »

ثم بين الله تبارك وتعالى أن المؤمن فى سبيل هذه الغاية قد باع لله نفسه وماله فليس له فيها شىء ، وإنما هى وقف على نجاح هـذه الدعوة وإيصالها الى قلوب الناس وذلك قوله تعالى

« إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ »

ومن ذلك ترى أن المسلم يجعل دنياه وقفا على دعوته ليكسب آخرته جزاء تضحيته ، ومن هنا كان الفاتح المسلم أستاذا يتصف بكل مايجب أن يتحلى به الاستاذ من نور وهداية ورحمة ورأفة ، وكان الفتح الاسلامى فتح تمدين وتحضير وإرشاد وتعليم وأين هذا مما يقوم به الاستعمار الغربى الآن

« أين المسلمون من هذه الغاية »

فبربك ياعزيزى هل فهم المسلمون من كتاب ربهم هـذا المعنى

فسمت نفوسهم ورقت أرواحهم وتحرروا من رق المادة وتطهروا من لذة الشهوات والاهواء وترفعوا عن سفاسف الامور ودنايا المقاصد، ووجهوا وجوههم لله الذى فطر السموات والارض حنفاء يعلون كلمة الله ويجاهدون فى سبيله وينشرون دينه ويذودون عن حياض شريعته ، أم هم هؤلاء أسرى الشهوات وعبيد الاهواء والمطامع كل همهم لقمة لينة ومركب فاره وحلة جميلة ونومة مريحة وامرأة وضيئة ومظهر كاذب ولقب أجوف

رضوا بالأمانى وابتلوا بحظوظهم وخاضوا بحار الجد دعوى فما ابتلو

وصدق رسول الله ﷺ « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة »

« الغاية أصل والأعمال فروع لها »

ولما كانت الغاية هي التى تدفع الى الطريق وكانت الغاية فى أمتنا غامضة مضطربة كان لابد من أن نوضح ونحدد ، وأظننا وصلنا الى كثير من التوضيح والتحديد واتفقنا على أن مهمتنا سيادة الدنيا وإرشاد الانسانية كلها الى نظم الاسلام الصالحة وتعاليمه التى لايمكن بغيرها أن يسعد الناس

« مصدر غايتنا »

تلك هى الرسالة التى يريد الاخوان المسلمون أن يبلغوها للناس وأن تفهمها الامة الاسلامية حق الفهم وتهب لانفاذها فى عزم وفى مضاء ، لم يبتدعها الاخوان المسلمون ابتداعا ولم يختلقوها من أنفسهم وإنما هى الرسالة التى تتجلى فى كل آية من آيات القرآن الكريم ، وتبدو فى

غاية الجلاء والوضوح فى كل حديث من أحاديث الرسول العظيم ﷺ وتظهر فى كل عمل من أعمال الصدر الاول الذين هم المثل الاعلى لفهم الاسلام وإنفاذ تعاليم الاسلام ، فان شاء المسلمون أن يقبلوا هذه الرسالة كان ذلك دليل الايمان والاسلام الصحيح، وان رأوا فيها حرجا أو غضاضة فبيننا وبينهم كتاب الله تبارك وتعالى حكم عدل وقول فصل يحكم بيننا وبين إخواننا ويظهر الحق لنا أو علينا

«رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ»

« استطراد »

يتساءل كثير من إخواننا الذين أحببناهم من كل قلوبنا، ووقفنا لخيرهم وللعمل لمصلحتهم الدنيوية والأخروية جهودنا وأموالنا وأرواحنا، وفنينا فى هذه الغاية غاية إسعاد أمتنا وإخواننا عن أموالنا وأنفسنا، وذهلنا فى سبيلهم عن أبنائنا والحلائل . وكم أتمنى أن يطلع هؤلاء الاخوان المتسائلون على شبان الاخوان المسلمين وقد سهرت عيونهم والناس نيام ، وشغلت نفوسهم والخليون هجع ، وأكب أحدهم على مكتبه من العصر الى منتصف الليل عاملا مجتهدا ومفكرا مجدا ، ولا يزال كذلك طول شهره حتى اذا ما انتهى الشهر جعل مورده موردا لجماعته ونفقته نفقة لدعوته وماله خادما لغايته ، ولسان حاله يقول لبنى قومه الغافلين عن تضحيته لاأسألكم عليه أجرا إن أجرى الا على الله ، ومعاذ الله أن نمن على أمتنا فنحن منها ، ولها وإنما نتوسل اليها بهذه التضحية أن تفقه دعوتنا وتستجيب لندائنا

« من أين المال »

يتساءل هؤلاء الاخوان المحبوبون الذين يرمقون الاخوان المسلمين على بعد ويرقبونهم عن كثب قائلين من أين ينفقون وأنى لهم بالمال اللازم لدعوة نجحت وأزهرت كدعوتهم والوقت عصيب والنفوس شحيحة، وإني أجيب هؤلاء بأن الدعوات الدينية عمادها الايمان قبل المال، والعقيدة قبل الأغراض الزائلة ، واذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه وسائل النجاح جميعاً، وان فى مال الاخوان المسلمين القليل الذى يقتطعونه من نفقاتهم ويقتصدونه من ضرورياتهم ومطالب بيوتهم وأولادهم ويجودون به طيبة به نفوسهم سخية به قلوبهم يود أحدهم لو كان له أضعاف أضعافه فينفقه فى سبيل الله ، فاذا لم يجد بعضهم شيئاً تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ماينفقون ، فى هذا المال القليل والايمان الكبير « ولله الحمد والعزة » بلاغ لقوم عابدين ونجاح للعاملين الصادقين ، وان الله الذى بيده كل شيء ليبارك فى القرش الواحد من قروش الاخوان فاذا هو أزكى من مئات وأبرك من جنيهات

و « يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ »

« وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ »

﴿ نحن والسياسة ﴾

ويقول قوم آخرون ان الاخوان المسلمين قوم سياسيون ودعوتهم

دعوة سياسية ولهم من وراء ذلك مآرب أخرى ، ولا ندرى الى متى تتقارض أمتنا التهم وتتبادل الظنون وتتنابز بالألقاب وتترك يقينا يؤيده الواقع فى سبيل ظن توحيه الشكوك

ياقومنا إننا نناديكم والقرآن فى يميننا والسنة فى شمالنا وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة الصالحة قدوتنا ، وندعوكم الى الاسلام وتعاليم الاسلام وأحكام الاسلام وهدى الاسلام ، فان كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا وإن كان من يدعوكم الى هذه المبادىء سياسيا فنحن أعرق الناس والحمد لله فى السياسة ، وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة فقولوا ماشئتم فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات

ياقومنا لاتحجبنكم الألفاظ عن الحقائق ولا الأسماء عن الغايات ولا الأعراض عن الجواهر ، وإن للاسلام لسياسة فى طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة وتلك هى سياستنا لانبغى بها بديلا ولا نرضى بها دينا فسوسوا بها أنفسكم ، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الأخروية ، ولتعلمن نبأه بعد حين

« قوميتنا وعلى أى أساس نرتكز »

أيها الأخ : تعال نصغ معاً الى صوت العزة الالهية يدوى فى أجواء الآفاق ، ويملأ الأرض والسبع الطباق ، ويوحى فى نفس كل مؤمن أسمى معالى العزة والفخار ، حين يسمع هذا النداء ، الذى تستمع له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ، من لدن بلغه الأمين الى هذا

الوجود . الى حيث لانهاية إذ كتب له الخلود

« اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا »

أجل أجل ياأخي هذا نداء ربك اليك . فلبيك اللهم لبيك ، وحمداً وشكرا لك لانحصى ثناء عليك . أنت أنت ولى المؤمنين . ونصير العاملين ، والمدافع عن المظلومين الذين حوربوا فى بيوتهم ، وأخرجوا من ديارهم ، عز من لجأ اليك ، وانتصر من احتمى بحماك

« وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ »

أجل أجل ياأخى : تعال نستمع معاً الى صوت القرآن الكريم . ونطرب بتلاوة هذه الآيات البينات ، ونسجل جمال هذه العزة فى صحائف ذلكم الكتاب المطهر

الى إلى ياأخي واسمع قول الله تبارك وتعالى :

١ « اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » سورة البقرة

٢ « بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ » سورة آل عمران

٣ « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ » المائدة

٤ (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى
الصَّالِحِينَ) الأعراف

٥ (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) التوبة

٦ (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) يونس

٧ (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ
لَا مَوْلَى لَهُمْ) سورة محمد ﷺ

ألست ترى فى هذه الآيات البينات أن الله تبارك وتعالى ينسبك الى نفسه ويمنحك فضل ولايته ويفيض عليك من فيض عزته (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)

وفى الحديث الشريف الذى يرويه المختار ﷺ عن ربه ما معناه : يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة « يا بنى آدم جعلت نسبا وجعلتم نسبا، فقلتم فلان بن فلان، وقلت إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم، فاليوم أرفع نسبي وأوضع نسبكم »

لهذا أيها الاخ الكريم فضّل السلف الصالح أن يرفعوا نسبتهم الى الله تبارك وتعالى ويجعلوا أساس صلاتهم ومحور أعمالهم تحقيق هذ

النسبة الشريفة فينادي أحدهم صاحبه :

لاتدعُني إلا بياعبدها فانه أشرف أسمائي

في حين يجيب الآخر من سأله عن أبيه أتيمي هو أم قيسي :

أبي الأسلام لاأب لي سواه اذا افتخروا بقيس أو تميم

« ليس بعد ذلك عزة »

أيها الاخ العزيز ، ان الناس انما يفخرون بأنسابهم لما يأنسون من المجد والشرف في أعمال جدودهم ، ولما يقصدون اليه من نفخ روح العزة والكرامة في نفوس أبنائهم ، ليس وراء هذين المقصدين شيء ، افلا ترى ان في نسبتك الى الله تبارك وتعالى اسمى مايطمح اليه الطامحون من معاني العزة والمجد « فان العزة لله جميعا » واولى مايرفع نفسك الى أعلى عليين ، وينفخ فيها روح النهوض مع العاملين وأي شرف أكبر وأي رافع الى الفضيلة أعظم من ان ترى نفسك ربانيا ، بالله صلتك ، واليه نسبتك ، ولأمر ما قال الله تبارك وتعالى :

« وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ »

« اعظم مصادر القوة »

وفي النسبة الى الحق تبارك وتعالى معنى آخر يدركه من تحقق بهذه النسبة . ذلك هو الفيض الأعم من الايمان ، والثقة بالنجاح الذي يغمر قلبك ويملأ نفسك فلا تخشى الناس جميعاً ولا ترهب العالم كله

إن وقف أمامك يحاول أن ينال من عقيدتك أو ينتقص من مبدئك

«الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»

ولأمر ما كان الرجل الواحد من أولئك القلائل المؤمنين بالله وثقته وتأييده يقف أمام الجحفل اللجب والجيش اللهام فلا يرهب صولته ولا يخشى أذاه لأنه لا يخشى احداً الا الله . وأي شيء اعظم من تلك القوة التى تنسكب فى قلب الرجل المؤمن حين يجيش صدره بقول الله تعالى :

(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ)

«قوميتنا نسبة عالمية»

وهناك معنى من معانى السمو الاجتماعي فى انتساب الناس الى الله تبارك وتعالى ، ذلك هو تآخى الشعوب وتآزر الجماعات والقضاء على تلك المطامع التى توحى بها العصبية ويورث نيرانها بين الأمم التقاطع والتناكر فمن للعالم بأن يجتمع بقوة حول راية الله

«أحلام الامس حقائق اليوم»

هـذا كلام طال عهد المسلمين باستماعه فقد يكون غامضا عليهم غير مفهوم لديهم

وقد يقول قائل ماهؤلاء الجماعـة يكتبون فى هذه المعـانى التى لا يمكن أن تحقق ، وما بالهم يسبحون فى جو من الخيال والأحلام ؟

على رسلكم أيها الاخوان فى الاسلام والملة ، فان ماترونه اليوم غامضا بعيدا كان عند أسلافكم بدهيا قريبا ، ولن يثمر جهادكم حتى يكون كذلك عندكم ، وصدقونى أن المسلمين الأولين فهموا من القرآن الكريم لأول ماقرءوه ونزل فيهم ماندلى به اليوم اليكم وتقصه عليكم

واصار حكم بأنها عقيدة الاخوان المسلمين يحيون بها ويأملون الخير فيها ، ويعولون عليها ، ويرون فيها كل ماتصبوا اليه نفوسهم من متعة وجمال واسعاد وحق ، فهل لم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون

أيها الاخوان اذا اتفقتم معنا على هذا الأساس فاعلموا أن انتسابكم الى الله تبارك وتعالى يفرض عليكم أن تقدر والمهمة التى ألقاها على عاتقكم ، وتنشطوا للعمل لها والتضحية فى سبيلها فهل أنتم فاعلون

« مهمة المسلم »

إن مهمة المسلم الحق لخصها الله تبارك وتعالى فى آية واحدة من كتابه وردّدها القرآن الكريم بعد ذلك فى عدة آيات ، فأما تلك الآية التى اشتملت على مهمة المسلمين فى الحياة فهى قول الله تبارك وتعالى

« يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَجَاهِدوا فِي اللهِ حَقَّ

جهادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ، وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ» .

هذا كلام عربى مبين لا لبس فيه ولا غموض ووالله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لواضح كالصبح ظاهر كالنور، يملأ الآذان ويدخل على القلوب بغير استئذان، فهل لم يسمعه المسلمون قبل الآن؟ أم سمعوه ولكن على قلوب أقفالها فلا تعى ولا تتدبر.

يأمر الله المؤمنين أن يركعوا ويسجدوا وأن يقيموا الصلاة التى هى لب العبادة وعمود الاسلام وأظهر مظاهره؛ وأن يعبدو الله ولا يشركوا به شيئا وأن يفعلوا الخير ما استطاعوا، وهو حين يأمرهم بفعل الخير ينهاهم بذلك عن ترك الشر، لأن من يعتاد الخير لا يفكر فى الشر وإن من أول الخير أن تترك الشر فما أوجز وما أبلغ، ورتب لهم على ذلك الفلاح والنجاح والفوز، وتلك هى المهمة الفردية لكل مسلم التى يجب عليه أن يقوم بها بنفسه فى خلوة أو جماعة

«هى الإنسانية»

ثم أمرهم بعد ذلك أن يجاهدوا فى الله حق جهاده بنشر هذه الدعوة وتعميمها بين الناس بالحجة والبرهان فان أبوا إلا العسف

والجور والتمرد فبالسيف والسنان
والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

« حراسة الحق بالقوة »

وما أحكم ذلك القائل « القوة أضمن طريق لاحقاق الحق وما أجمل أن تسير القوة والحق جنبا الى جنب » فهذا الجهاد فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية فضلا عن الاحتفاظ بمقدسات الاسلام فريضة أخرى فرضها الله على المسلمين كما فرض عليهم الصوم والصلاة والحج والزكاة وفعل الخير وترك الشر وألزمهم إياها وندبهم اليها ولم يعذر فى ذلك أحدا فيه قوة وفيه استطاعة ، وانها لآية زاجرة رادعة وموعظة بالغة صارخة

« انفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً وجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فى سبِيلِ اللهِ »

وقد كشف الله عن سر هذا التكليف وحكمة هذه الفريضة التى افترضها على المسلمين بعد هذا الامر فبين لهم أنه اجتباهم واختارهم واصطفاهم دون الناس ليكونوا سواس خلقه وأمناءه على شريعته وخلفاءه فى أرضه وورثة رسوله ﷺ فى دعوته ومهد لهم الدين وأحكم التشريع وسهل الأحكام وجعلها من الصلاحية لكل زمان ومكان بحيث يتقبلها العالم وترى فيها الانسانية أمنيتها المرجوة وأملها المنتظر

(هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) وتلك هى المهمة الاجتماعية التى ندب الله اليها المسلمين جميعاً أن يكونوا صفاً واحداً وكتلة وقوة وأن يكونوا هم جيش الخلاص الذى ينقذ الانسانية ويهديها سواء السبيل

رهبان بالليل فرسان بالنهار

ثم أوضح الحق تبارك وتعالى للناس بعد ذلك الرابطة بين التكاليف من صلاة وصوم بالتكاليف الاجتماعية وأن الأولى وسيلة للثانية وأن العقيدة الصحيحة أساسهما معاً حتى لا يكون لأناس مندوحة من القعود عن فرائضهم الفردية بحجة أنهم يعملون للمجموع وحتى لا يكون لآخرين مندوحة من القعود عن العمل المجموع بحجة أنهم مشغولون بعباداتهم مستغرقون فى صلتهم بربهم ، فما أدق وما أحكم «ومن أحسن من الله حديثا»

أيها المسلمون عبادة ربكم والجهاد فى سبيل التمكين لدينكم واعزاز شريعتكم هى مهمتكم فى الحياة ، فان أديتموها حق الاداء فانتم الفائزون ، وإن أديتم بعضها أو أهملتموها جميعاً فاليكم أسوق قول الله تبارك وتعالى «أَفَحَسِبْتُمْ أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى اللهُ الملكُ الحقُّ »

ولهذا المعنى جاء فى أوصاف أصحاب محمد ﷺ وهم صفوة الله من

خلقه والسلف الصالح من عباده « رهبان بالليـل فرسان بالنهار » ترى أحدهم فى ليله ماثلا فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول « يادنيا غرى غيرى » فاذا انفلق الصبح ودوى النفير يدعو المجاهدين ، رأيته ليثاً رئبالا على صهوة جواده يزأر الزأرة فتدوى لها جنبات الميدان .

يالله ماهذا التناسق العجيب والتزاوج الغريب والمزج الفريد بين عمل الدنيا ومهامها وشئون الآخرة وروحانيتها ، ولـكنه الأسلام الذى جمع من كل شىء أحسنه

استعمار الاستاذية والاصلاح

ولهذا المعنى أيها المسلمو نفر المسلمون بعد أن اختار نبيهم ﷺ الرفيق الاعلى فى أقطار الارض . قرآنهم فى صدورهم ومسا كنهم على سروجهم ، وسيوفهم بايديهم ، وحجتهم واضحـة على أطراف السنتهم يدعون الناس الى إحدى ثلاث . الاسلام أو الجزيه أو القتال،فمن أسلم فهوأخوهم لهمالهم وعليه ماعليهم، ومن أدى الجزية فهو فىذمتهموعهدهم يقومون بحقه ويراعون عهده ويوفون له بشرطه ،ومن أبىجالدوه حتى يظهرهم الله عليه«ويأبى الله إلاأن يتم نوره »

مافعلوا ذلك لسلطان ، فزهادتهم فىالجاه والشهرةمعروفةعندالخاص والعام،ولقد قضى دينهم على تلك المظاهر الزائفة التى يسمع بها أقوام

على حساب آخرين فكان خليفتهم أحدهم يفرض له من المال والعطاء مالرجل منهم ليس بأفضلهم ولا أدركهم وأمرهم بينهم ، لاتميزه الا بما أفاض الله عليه من جلال الايمان وهيبة اليقين ، ولم يكن ذلك المال فحسب أحدهم كسرة يرد بها جوعته وجرعة يطفيء بها ظمأته والصوم لديهم قربة ، والجوع أحب عندهم من الشبع ، وحظ أحدهم من الملبس ما يستر به عورته ، وكتابهم يناديهم بقوله تعالى

« والذين كفروا يتمتعُونَ ويأكُلونَ كما تأكلُ الانعامُ والنَّارُ مَثْوىً لهمْ »

ونبيهم يقول لهم « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة »

إذن لم يكن مخرجهم من ديارهم لجاه أو مال أو سلطة أو استعمار أو استبداد ، وانما كان لأداء رسالة خاصة ، هي رسالة نبيهم ﷺ التي تركها أمانة بين أيديهم وأمرهم أن يجاهدوا في سبيلها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله

آن لنا أن نفهم

كان المسلمون يفهمون هذا قديما ويعملون له ويحملهم إيمانهم على التضحية في سبيله ، أما في هذه الأيام فقد تفرق المسلمون في فهم مهمتهم واتخذوا من التأويل والتعطيل سناداً للقعود والكسل ، فمن قائل يقول لك

مضى وقت الجهاد والعمل ، وآخر يثبط همتك بأن الوسائل معدومة والأمم الاسلامية مقيدة، وثالث رضى من دينه بكلمات يلوكها لسانه صباح مساء وقنع من عبادته بركعات يؤديها وقلبه هواء

لا لا أيها الاخوان المسلمون القرآن بين يديكم يناديكم بوضوح وجلاء « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ »

وأما السنة فيقول لكم الرسول ﷺ « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتبعوا اذناب البقر وتركوا الجها في سبيل الله ادخل الله تعالى عليهم ذلا لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » رواه الامام احمد في مسنده والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الايمان عن عبد الله ابن عمر ، وانتم تقرءون في كتب الفقه ما الف منها قديما او حديثا متى يكون الجهاد فرض كفاية ومتى يكون فرض عين وتعلمون حقائق ذلك ومعناه حق العلم فما هذا الخمول الذى ضرب بجرانه وما هذا اليأس الذى قبض على القلوب فلا تعي ولا تفيق ، هذا ايها المسلمون عصر التكوين فكونوا انفسكم وبذلك تتكون امتكم

ان هذه الفريضة تحتاج منكم نفوسا مؤمنة وقلوبا سليمة فاعملوا على تقوية ايمانكم وسلامة صدوركم وتحتاج منكم تضحية بالمال والجهود فاستعدوا لذلك، فانما عندكم ينفد وما عند الله باق ، وان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بجنة عرضها السموات والارض

من أين نبدأ

ان تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ، ومناصرة المبادىء تحتاج من الأمة التى تحاول هذا أو من الفئة التى تدعو اليه على الاقل قوة نفسية عظيمة تتمثل فى عدة أمور ارادة قوية لا يتطرق اليها ضعف ووفاء ثابت لايعدو عليه تلون ولا غدر ، وتضحية عزيزة لايحول دونها طمع ولابخل ، ومعرفة بالمبدأ وايمان به وتقدير له ، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره . على هذه الأركان الأولية التى من خصائص النفوس وحدها ، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتتربى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمناً طويلا .

وكل شعب فقد هذه الصفات الاربعة أو على الاقل فقدها قواده ودعاة الاصلاح فيه فهو شعب عابث مسكين لا يصل الى خير ولا يحقق أملا،وحسبه أن يعيش فى جو من الأحلام والظنون والأوهام إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً

هذا القانون هو قانون الله تبارك وتعالى وسنته فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

« إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتى يُغَيِّروا ما بِأَنْفُسِهِمْ »

وهو أيضا القانون الذى عبر عنه النبي ﷺ فى الحديث الصحيح

ومعناه) يوشك ان تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن» فقال قائل أو من قلة نحن يارسول الله يومئذ . قال لا انكم حينئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل) فقال قائل : وما الوهن يارسول الله .قال «حب الدنيا وكراهية الموت»

أولست تراه ﷺ قد بين ان سبب ضعف الامم وذلة الشعوب وهن نفوسها وضعف قلوبها وخلاء افئدتها من الاخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة وان كثر عددها وزادت خيراتها وثمراتها .

وان الأمة اذا رتعت فى النعيم وأنست بالترف وغرقت فى اعراض المادة وافتتنت بزهرة الحياة الدنيا ونسيت احتمال الشدائد ومنازعة الخطوب والمجاهدة فى سبيل الحق ، فقل على عزتها وآمالها العفاء .

بين القوتين

يظن كثيرمن الناس أن الشرق تعوزه القوة المادية من المال والعتاد وآلات الحرب والكفاح لينهض ويسابق الامم التى سلبت حقه وهضمت أهله ذلك صحيح ومهم ، ولكن أهم منه وألزم القوة الروحية من الخلق الفاضل والنفس النبيلة والايمان بالحقوق ومعرفتها والارادة الماضية والتضحية فى سبيل الواجب والوفاء الذى تنبنى عليه الثقة والوحدة ، وعنهما تتكون القوة .

لو آمن الشرق بحقه وغير من نفسه واعتنى بقوة الروح ، وعنى بتقويم الأخلاق لواتته وسائل القوة المادية من كل جانب وعند صحائف التاريخ الخبر اليقين .

يعتقد الأخوان المسلمون هذا تمام الاعتقاد ، وهم لهذا دائبون فى تطهير أرواحهم وتقوية نفوسهم وتقويم اخلاقهم ؛ وهم لهذا يجاهرون بدعوتهم ويريدون الناس على مبادئهم ويطالبون الامة بإصلاح النفوس وتقويم الاخلاق .

وهم لم يبتدعوا ذلك ابتداعا شأنهم فى كل مايقولون ، ولكنهم يستمدونه من القاموس الأعظم والبحر الخضم والدستور المحكم والمرجع الاعلى ذلكم هو كتاب الله تبارك وتعالى . وقد سمعت من قبل تلك المادة الخالدة من ذلكم القانون .

« إنَّ اللهَ لايُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ »

ولقد كشف القرآن عن هذا المعنى فى كثير من آياته بل انه ضرب لنا مثلا تطبيقيا خالدا واضحا كل الوضوح صادقا كل الصدق فى قصة بنى اسرائيل تلك القصة الرائعة التى ترسم لكل أمة يائسة طريق الحياة والتكوين .

المنهاج واضح

يعتقد الاخوان المسلمون ان الله تبارك وتعالى حين انزل القرآن

وامر عباده ان يتبعوا محمداً ﷺ ورضى لهم الاسلام دينا وضع فى هذا الدين القويم كل الاصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها واسعادها وذلك مصداق قول الله تبارك وتعالى

«الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الذى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُم اصْرَهُمْ والاغْلاَلَ التى كانَتْ عَلَيْهِمْ»

ومصداق قول الرسول ﷺ فى الحديث الشريف ما معناه . والله ما تركت من خير إلا وامرتكم به وما تركت من شر الا ونهيتكم عنه

وانت اذا انعمت النظر فى تعاليم الاسلام وجدته قد وضع اصح القواعد وانسب النظم وادق القوانين ، لحياة الفرد رجلاوامراة ، وحياة الأسرة فى تكوينها وانحلالها ، وحياة الأمة فى نشوئها وقوتها وضعفها وحلل الفكر التى وقف امامها المصلحون وقادة الأمم

فالعالمية والقومية والاشتراكية والراسمالية والبلشفية والحرب وتوزيع الثورة والصلة بين المنتج والمستهلك وما يمت بصلة قريبة او بعيده الى هذه البحوث التى تشغل بال ساسة الامم وفلاسفة الاجتماع كل هذه نعتقد ان الاسلام خاض فى لبها ووضع للعالم النظم التى تكفل له

الانتفاع بما فيها من محاسن وتجنب ما تستتبعه من خطر وويلات ، وليس ذلك مقام تفصيل هذا المقال فانما نقول ما نعتقـد ونبين للناس ماندعوهم ولنا بعد ذلك جولات نفصل فيها ما نقول .

لا بد من أن نقتنع

واذ كان الاخوان المسلمون يعتقدون ذلك فهم يطالبون الناس بأن يعملوا على أن تكون قواعد الاسلام هى الاصول التى تبنى عليها نهضة الشرق الحديث فى كل شأن من شئون الحياة ويعتقـدون أن كل مظهر من مظاهر النهضة الحديثة يتنافى مع قواعد الاسلام ويصطدم بأحكام القرآن فهو تجربة قاسية فاشلة ستخرج منها الامة بتضحيات كبيرة فى غير فائدة نخير للامم التى تريد النهوض أن تسلك اليه أخصر الطرق باتباعها أحكام الاسلام

والاخوان المسلمون لايختصون بهذه الدعوة قطراً دون قطر من الاقطار الاسلامية ولكنهم يرسلونها صيحة يرجون أن تصل الى آذان القادة والزعماء فى كل قطر يدين أبناءه بدين الاسلا وأنهم اينتهزون لذلك هذه الفرصة التى تتحد فيها الاقطار الاسلامية وتحاول بناء مستقبلهـا على دعائم ثابتة من اصول الرقى والتقدم والعمران .

احذروا الانحراف

وان أكبر مايخشاه الاخوان المسلمون أن تندفع الشعوب الشرقية

الاسلامية في تيار التقايد فترفع نهضاتها بتلك النظم البالية التى انتقضت على نفسها وأثبتت التجربة فسادها وعدم صلاحيتها ، ان لكل أمة من أمم الاسلام دستوراً عاما فيجب أن تستمد مواد دستورها العام من من احكام القرآن الكريم ، وإن الامة التى تقول فى أول مادة من مواد دستورها ان دينها الرسمي الأسلام يجب ان تضع بقية المواد على أساس هذه القاعدة وكل مادة لايسيغها الاسلام ولا تجيزها أحكام القرآن يجب ان تستبدل بما يتفق وهذه الاحكام حتى لا يظهر التناقض فى القانون الاساسى للدولة

اصلحوا القانون

وان لكل امة قانونا يتحاكم اليه ابناؤها وهذا القانون يجب ان يكون مستمدا من احكام الشريعة الاسلامية مأخوذاً عن القرآن الكريم متفقا مع أصول الفقه الاسلامى وإن فى الشريعة الاسلامية وفيما وضعه المشترعون المسلمون ما يسد الثغرة ويفى بالحاجة وينقع الغلة ويؤدى الى أفضل النتائج وأبرك الثمرات وان فى حدود الله لو نفذت لزاجرا يردع المجرم وان اعتاد الاجرام ، ويكف العادى وإن تأصل فى نفسه العدوان ويريح الحكومات من عناء التجارب الفاشلة ، والتجربة تثبت ذلك وتؤيده وأصول التشريع الحديث تنادى به وتدعمه والله تبارك وتعالى يفرضه ويوجبه

« وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ »

اصلحوا مظاهر الاجتماع

وان فى كل أمة مظاهر من مظاهر الحياة الاجتماعية تشرف عليها: الحكومات وينظمها القانون وتحميها السلطات فعلى كل أمة شرقية إسلامية أن تعمل على أن تكون كل هذه المظاهر مما يتفق وآداب الدين ويساير تشريع الاسلام وأوامره. ان البغاء الرسمى لطخة عار فى جبين كل أمة تقدر الفضيلة فما بالك بالأمم الاسلامية التى يفرض عليها دينها محاربة البغاء والضرب على يد الزانى والزانية بشدة وقسوة «وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللهِ ان كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»

ان حانات الخمر فى أظهر شوارع المدن وأبرز أحيائها وتلك اللوحات الطويلة العريضة عن المشروبات الروحية وهذه الاعلانات الظاهرة الواضحة عن أم الخبائث: مظاهر يأباها الدين ويحرمها القرآن الكريم أشد التحريم.

حاربوا الاباحية

وإن هذه الاباحية المغرية والمتعة الفاتنة واللهو العابث فى الشوارع والمجامع، والمصايف والمرابع يناقض ما أوصى به الاسلام اتباعه من عفة وشهامة وإباء، وانصراف الى الجد وابتعاد عن الاسفاف

«إنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»

فكل هذه المظاهر وأشباهها . على الامم الاسلامية أن تبذل فى محاربتها ومناهضتها كل ما فى وسع سلطانها وقوانينها من طاقة ومجهود لاتني فى ذلك ولا تتواكل

نظموا التعليم

وان لكل أمة وشعب اسلامى سياسة فى التعليم وتخريج الناشئة وبناء رجال المستقبل الذين تتوقف عليهم حياة الأمة الجديدة فيجب أن تبنى هذه السياسة على أصول حكيمة تضمن للناشئين مناعة دينية وحصانة خلقية ومعرفة بأحكام دينهم واعتداد بمجده الغابر وحضارته الواسعة .

هذا قليل من كثير من الأصول التى يريد الاخوان المسلمون أن ترعاها الأمم الاسلامية فى بناء النهضة الحديثة وهم موجهون دعوتهم هذه الى كل المسلمين شعوبا وحكومات ووسيلتهم فى الوصول الى تحقيق هذه الغايات الاسلامية السامية وسيلة واحدة . ان يبينوا ما فيها من مزيه واحكام حتى اذا ذكر الناس ذلك واقتنعوا بفائدته أنتج ذلك عملهم له ونزولهم على حكمه

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

اتفعوا بإخاء اخوانكم

ينادى الاسلام أبناءه ومتبعيه فيقول لهم :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا »

ويقول القرآن الكريم فى آية أخرى :

« إنما المؤمنون إخوة » وفي آية ثالثة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض »

ويقول النبي الكريم ﷺ وكونوا عباد الله إخوانا

وكذلك فهم المسلمون الأولون — رضوان الله عليهم — من الاسلام هذا المعنى الاخوى وأملت عليهم عقيدتهم فى دين الله أخلد عواطف الحب والتآلف ، وأنبل مظاهر الأخوة والتعارف ، فكانوا رجلا واحدا ، وقلبا واحدا ويدا واحدة حتى امتن الله بذلك فى كتابه فقال تبارك وتعالى :

« وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا

ما أَلَّفْتَ بين قُلوبِهِمْ وَلكنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ »

تطبيق

وان ذلك المهاجرى الذى كان يترك أهله ، ويفارق أرضه فى مكة ويفر بدينه الى المدينة كان يجد أمامه ابناء الاسلام من فتيان يثرب ينتظرون وكلهم شوق اليه ، وحب له وسرور بمقدمه . وما كان لهم سابق معرفة ، ولاقديم صلة ، وما ربطتهم به وشيجة من صهر أوعمومة وما دفعتهم اليه غاية أو منفعة ، وانما هى عقيدة الاسلام جعلتهم يحنون اليه ويتصلون به ويعدونه جزءا من أنفسهم ، وشقيقا لأرواحهم ، وما هو إلا أن يصل المسجد حتى يلتف حوله الغر الميامين من الأوس والخزرج كلهم يدعوه الى بيته ويؤثره على نفسه ويفديه بروحه وعياله ويتشبث بمطلبه هذا حتى يؤول الأمر الى الاقتراع ؛ حتى روى الامام البخارى ما معناه :

« ما نزَلَ مهاجرىٌ عَلَى أَنْصارىٍّ إلا بِقُرْعةٍ »

وحتى خلد القرآن للانصار ذلك الفضل أبد الدهر فما يزال يبدو غرة مشرقة فى جبين السنين فى قول الله تبارك وتعالى :

« وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدارَ والايمانَ من قبلِهِم يُحِبونَ مَنْ هاجرَ إليْهِمْ ولا يَجِدُونَ في صُدورِهِمْ حاجةً مما أُوتوا وَيُؤْثِرونَ عَلَى

أَنْفُسِهِم ولو كان بهم خَصَاصَةٌ ومن يوقَ شُحَّ نفسهِ فأولئك همُ المُفْلِحُونَ »

وعلى هذا درج ابناء الاسلام وخص الرعيل الاول ممن وجدت بين نفوسهم الأخوة الايمانية ، لافرق فى ذلك بين مهاجرهم وانصارهم ولا بين مكيهم ويمنيهم حتى أثنى الرسول الكريم على الاشاعرة من أهل اليمن بقوله ﷺ ما معناه :

« نعم القومُ الاشعريون اذا جَهِدُوا فى سَفَرٍ او حَضَرٍ جَمَعُوا ما عِنْدَهُمْ فوَضَعُوهُ في مَزادةٍ ثم قسَّمُوهُ بَيْنَهُم بالسوية

وأنت اذا قرأت القرآن الكريم ، وأحاديث النبي العظيم ﷺ وطالعت سير الغر الميامين من أبناء هذا الدين رأيت من ذلك مايقر عينك ويملأ سمعك وقلبك

أخوة تعلم الانسانية

ولقد أثمرت هذه العقيدة ثمرتين لا بد لنا من ان نجنيها ونتحدث اليك عما فيها من حلاوة ولذة ، وخير وفائدة ، فاما الأولى منهافقد انتجت هذه العقيدة ان الاستعمار الاسلامى لم يشبهه استعمار فى التاريخ أبداً لا فى غايته ، ولا فى مسالكه وادارته ، ولا فى نتائجه وفائدته ، فان المستعمر

المسلم انما كان يفتح الارض حين يفتحها ليعلى فيها كلمة الحق ، وينير أفقها بسنا القرآن الكريم ، فاذا أشرقت على نفوس أهلها شمس الهداية المحمدية فقد زالت الفوارق ، ومحيت المظالم ، وشملها العدل والانصاف ، والحب والاخاء ، ولم يكن هنالك فاتح غالب وخصم مغلوب ولكن اخوان متحابون متآلفون ، ومن هنا تذوب فكرة القومية وتنجاب كما ينجاب الثلج سقطت عليه أشعة الشمس قوية مشرقة أمام فكرة الاخوة الاسلامية التى يبثها القرآن فى نفوس من يتبعونه جميعاً . . .

ان ذلك الفاتح المسلم قبل ان يغزو من غزاه ويغلب من غلب قد باع نفسه واهله ، وتجرد عن عصبيته وقوميته فى سبيل الله ، فهو لا يغزو لعصبية ولا يغلب لقومية ، ولا ينتصر لجنسية ، ولكنه يعمل حين يعمل « لله » بل لله وحده لاشريك له ، وان أروع ماأثر من الاخلاص فى الغاية ، وتجريد النفس من الهوى ماجاء فى الحديث الشريف ومعناه : أن رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال يارسول الله إني أحب أجاهد فى سبيل الله ، وأحب ان يرى موقفى ، فسكت النبي ﷺ ولم يجبه فنزلت الآية الكريمة .

(فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)

أفرأيت كيف اعتبر الاسلام تطلع هذا الشخص الى الثناء والمدح وهما من طبائع النفوس شركا خفيا يجب أن يتنزه منه ويسمو لشرف الغاية النبيلة عنه ، وهل هناك أخلص من أن ينسى الانسان نفسه فى سبيل غايته وهل تظن أن رجلا يشترط عليه دينه أن يتجرد من نفسه ويكبت

عواطفها وميولها وأهواءها: حتى يكون جهاده خالصا لله وحده ، يفكر بعد هذا في أن يجاهد لعصبية أو يغزو لجنس أو قومية . اللهم لا

وان ذلك المغلوب الذى شاءله القدر أن يسعد بالاسلام ، ويهتدى بهديه ما ترك بلده وأرضه لأجنبي عنه يتحكم فيها ويسخره تسخير العبد الذليل ويستأثر دونه بخيراتها ، ولكنه ترك ما ترك لأخ يخلطه بنفسه ويمزجه بروحه ويناديه باخلاص . لك مالنا وعليك ما علينا وكتاب الله تبارك وتعالى يفصل بيننا ، فكلاهما فنى فى غايته وضحى فى سبيل مبدئه وترك ما ترك ليعم الانسانية نور الله ، وتسطع عليها شمس القرآن الكريم وفى ذلك تمام اسعادها وكمال رقيها لو كانوا يعملون

أفق الوطن الاسلامى

وأما الثمرة الثانية فان الاخوة الاسلامية جعلت كل مسلم يعتقد أن كل شبر من الارض فيه أخ يدين بدين القرآن الكريم قطعة من لأرض الاسلامية العامة التى يفرض الاسلام على كل أبنائه أن يعملوا لحمايتها واسعادها ، فكان عن ذلك أن اتسع أفق الوطن الاسلامى وسما عن حدود الوطنية الجغرافية والوطنية الدموية الى وطنية المبادىء السامية والعقائد الخالصة الصحيحة ، والحقائق التى جعلها الله للعالم هدى ونوراً. والاسلام حين يشعر ابناءه بهذا المعنى ويقرره فى نفوسهم يفرض عليهم فريضة لازمة أن يعملوا لحماية أرض الاسلام من عدوان المعتدين ، وتخليصها من غصب الغاصبين وتحصينها من مطامع المعتدين

طريق طويلة

أرجو أن تكون هذه الكلمات المتتاليات فى بيان دعوة الاخوان المسلمين قد كشفت للقراء الكرام عن غايتهم وأبانت لهم ولو الى حد ما عن مناهجهم فى السير الى هـذه الغاية ، وقد تحدثت من قبل الى كثير من اخواننا الغيورين على الاسلام ومجده حديثا طويلا ، هو أشبه بهذه الكلمات التي رآها القراء تحت عنوان « إلى أى شيء ندعو الناس » .

ولقد أصغى الىّ من حدثتهم اصغاء مشكوراً ، وكنا نتفهم القول تباعا أولا فأولا ، حتى خرجنا من المحادثة مقتنعين تماما بشرف الغاية ونجاح الوسيلة ، وكم كانت دهشتى عظيمـة حين رأيت منهم شبه اجماع على أن هذه السبيل مع التسليم بنجاحها طويلة ، وأن التيارات الجارفة الهدامة فى البلد قوية مما يجعل اليأس يدب الى القلوب والقنوط يستولى على النفوس ، وحتى لا يجد القراء الكرام فى أنفسهم هذا الشعور الذى وجده أولئك المتحدثون من قبل؛ أحببت أن تكون هذه الكلمـة مفعمة بالأمل فياضة باليقين فى النجاح ان شاء الله . ولله الأمر من قبل ومن بعد وسأحصر الموضوع فى نظرتين ايجابيتين .

نظرة فلسفية اجتماعية

يقول علماء الاجتماع ان حقائق اليوم هى احلام الأمس . واحلام اليوم حقائق الغد . وتلك نظرة يؤيدها الواقع ويعززها الدليل والبرهان

بل هي محور تقدم الانسانية وتدرجها في مدارج الكمال ، فمن ذا الذي كان يصدق أن يصل العلماء الى ماوصلوا اليه من المكتشفات والمخترعات قبل حدوثها ببضع سنين ؛ بل ان أساطين العلم أنفسهم انكروها لأول عهدهم بها حتى أثبتها الواقع وأيدها البرهان ، والمثل على ذلك كثيرة ، وهي من البداهة بحيث يكفينا ذلك عن الاطالة بذكرها .

نظرة تاريخية

إن نهضات الامم جميعا انما بدأت على حال من الضعف يخيل للناظر اليها أن وصولها الى ماتبتغي ضرب من المحال ، ومع هذا الخيال فقد حدثنا التاريخ ان الصبر والثبات . والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة القليلة الوسائل الى ذروة مايرجو القائمون بها من توفيق ونجاح ، من ذا كان يصدق أن الجزيرة العربية ، وهي تلك الصحراء الجافة المجدبة تنبت النور والعرفان ، وتسيطر بنفوذ أبنائها الروحي والسياسي على أعظم دول العالم . ومن الذي كان يظن أن أبا بكر وهو ذلك القلب الرقيق اللين وقد انتقض الناس عليه وحار أنصاره في أمرهم يستطيع أن يخرج في يوم واحد أحد عشر جيشاً تقمع العصاة ، وتقيم المعوج ، وتؤدب الطاغي ، وتنتقم من المرتدين وتستخلص حق الله في الزكاة من المانعين . ومن ذا الذي كان يصدق أن هذه الشيعة الضئيلة المستترة من بني علي والعباس تستطيع أن تقلب ذلك الملك الاقوى الواسع الاطراف المترامي الأكناف مابين عشية أو ضحاها .

وهى ما كانت يوما من الأيام إلا عرضة للقتل والتشريد والنفى والتهديد ومن ذا الذى كان يظن أن صلاح الدين الأيوبى يقف الاعوام الطوال فيرد ملوك أوربا على اعقابهم داخرين على توافر عددهم وكثرة عددهم وتظاهر جيوشهم حتى اجتمع عليه خمسة وعشرون ملكا من ملوكهم الا كابر ، ذلك فى التاريخ القديم . وفى التاريخ الحديث أروع المثل على ذلك . فمن ذا لذى كان يظن ان الملك عبد العزيز آل سعود وقد نفيت اسرته وشرد أهله وسلب ملكه يسترد هذا الملك ببضعة وعشرين رجلا ثم يكون بعد ذلك أملا من آمال العالم الاسلامى فى اعادة مجده واحياء وحدته ، ومن الذى كان يصدق أن ذلك العامل الألمانى (هتلر) يصل إلى ماوصل اليه من قوة النفوذ ونجاح الغاية

هل هناك طريق أخرى

وثم نظرتان سلبيتان تحدثان النتيجة بعينها وتوجهان قلب الغيور إلى العمل توجيها قويا صحيحا ، أولاها أن هذه الطريق مهما طالت فليس هناك غيرها فى بناء النهضات بناء صحيحا . وقد أثبتت التجربة صحة هذه النظرة .

الواجب أولا

وثانيتهما أن العامل يعمل لأداء الواجب أولا ، ثم للاجر الأخروى ثانيا ثم للافادة ثالثا وهو ان عمل فقد أدى الواجب ، وفاز بثواب الله مافى ذلك شك متى توفرت شروطه . وبقيت الافادة وأمرها الى الله فقد تأتى فرصة

لم تكن فى حسابه تجمل عمله يأتى بزبرك الثمرات على حين انه اذا قعد عن العمل فقد لزمه اثم التقصير ، وضاع منه أجر الجهاد وحرم الافادة قطعا فأى الفريقين خير مقاما واحسن نديا ، و قد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى صراحة ووضوح فى الآية الكريمة ﴿ وإذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون . فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ (سورة الاعراف)

قصة أمة تتكون

١ --- ضعف

نحن الآن امام جبار متكبر يستعبد عباد الله ويستضعفهم ويتخذهم خدما وحشما وعبيدا وخولا وبين شعب من الشعوب الكريمة المجيدة استعبده ذلك الطاغية الجبار ثم اراد الله تبارك وتعالى ان يعيد لهذا الشعب المجيد حريته المسلوبة وكرامته المغصوبة ومجده الضائع وعزه البائد فكان اول شعاع من فجر حرية هذا الشعب اشراق شمس زعيمه العظيم (موسى) على هذا الوجود طفلا رضيعا ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون، ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الارض ﴾

٢ — زعامة

ونحن نعد هذا امام هذا الزعيم وقد بلغ أشده واستوى وتربته العناية الالهية بعد ان أنفت نفسه الظلم وعافت الضيم ففر بنفسه وهرب بحريته حيث اصطنعه الله لنفسه وحمله عبء رسالته وأسند اليه خلاص شعبه فآب مملوءاً بالايمان مؤيداً باليقين يواجه ذلك الجبار فيطالب اليه ان يعيد الى شعبه حريته ويترك له كرامته ويؤمن به ويتبعه وما اروع ذلك التهكم المر اللاذع حين يحكى القرآن الكريم قول الرسول العظيم ﴿ وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل ﴾ أيها الجبار المتهكم فى عباد الله لا عبادك هل من النعمة التى تذكرنى بها والجميل الذى تسديه الى ان تستعبد شعبي وتخفر امتى وتمتهن قومى ؟ . انها صيحة الحق دوت من فم النبي الكريم فزلزلت عرش الجبار وهزت ملكه ﴿ فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بنى اسرائيل قال الم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ﴾ (سورة الشعراء)

٣ — صرع

ونحن الآن نشهد غضبة القوة على الحق كيف تثور عليه وتنتقم منه وتعذب أهله وتقهر مناصريه ثم كيف يصبر اهل الحق على كل ذلك وكيف يعللهم رؤساؤهم بالآمال الحلوة والامانى العذبة حتى لا يجد الخور

الى نفوسهم سبيلا ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون، قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ، ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾

٤ — ايمان

وما أروع أن نشهد ذلك النموذج الخالد من الثبات والصبر والاستمساك بعروة الحق والاستهانة بكل شيء حتى الحياة في سبيل الايمان والعقيدة

٥ — انتصار

من اتباع هذا الزعيم الذين آمنوا بدعوته وقد تحدوا هذا الجبار في استهانة واستماتة ﴿فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾

فاذا رأينا كل ذلك رأينا عاقبة في القسم الخامس وما ادراك ما هي فوز وفلاح وانتصار ونجاح وبشرى تزف الى المهضومين وامل يتحقق للحالمين وصيحة الحق المبين تدوي في آفاق الارض ﴿(يابني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم)﴾

حسن البنا
المرشد العام للاخوان المسلمين

١٨٧١٦